وأمام هذه الوضعية الّتي وصفت المنهج التقليدي، ظهرت مناهج جديدة حاولت تدارك القصور الّذي اعترى هذا المنهج منها:

ب- المنهج البنوي:

1- في مفهوم البنيوية: بدأ التصوّر البنيوي مع اللساني السويسري فرديناند دي سوسير في كتابة "محاضرات في الألسنية العامة" المنشور سنة 1916، وساهمت روافد أخرى بشكل فعّال في انبثاق المنهج البنيوي وتطوّره وازدهاره، ويتعلّق الأمر بـ"تربسكوي وجاكبسون في الصواتة، ولكلود ليفي ستروس في مجال الأنثروبولوجيا وغيرهم من الباحثين في مختلف العلوم الإنسانية"[1]

غير أنّ الكثيرين من الدارسين يذهبون إلى أنّ الشكلية الروسية هي البنيوية المبكّرة، ذلك أنّ الفيلسوف الروسي "تيتانيوف" هو أوّل من استخدم لفظة أبنية ثمّ تبعه ياكبسون الّذي استخدم لفظ البنيوية لأوّل مرة عام 1929.[2]

فتبين من ذلك أنّ البنيوية من تأسيس سوسير، لكنّها لم تعرف بهذه التسمية، فقد كان يستخدم مصطلح (النسق / المنظومة / النظام...)، أمّا الشكلانيون هم أوّل من أطلق مصطلح البنيوية حينما نادوا بضرورة التركيز على العلاقات الداخلية أثناء التعامل مع النص، أو ما أسماه ياكبسون بأدبية الأدب.

لقد اكتنف الغموض مفهوم البنيوية، ممّا أدى إلى إثارة الجدل حول ماهيّتها، فصرّح فريق معلنًا أن البنيوية "ليست بأي حال من الأحوال فلسفة، وإنّما منهج للبحث العلمي"[3]، وفريق ثانٍ عدّها فلسفة و"فكرًا بلا مفكرين"[4] وتوسّط فريق ثالث الرأيين فصارت البنيوية عنده "نظرية في العلم تؤكّد أهمية النموذج أو البناء في كلّ معرفة علمية، وتجعل العلاقات الداخلية، والنسق الباطن قيمة كبرى في اكتساب أي علم"[5]

ممّا سبق يتّضح أن البنيوية منهج نقدي تحليلي لساني، يقوم على أساس البنية الذاتية للظواهر بمعزل عن محيطها الخارجي والتأثيرات الأخرى، فهي تنظر إليها من الداخل، وتفترض أنّها مغلقة على ذاتها.

---

[1]- مصطفى غلفان: اللسانيات البنيوية –منهجيات واتجاهات–، دار الكتاب الجديد المتحدة، لبنان، ط1، 2013، ص52.

[2]- ينظر، محمّد بلعفير: البنيوية: النشأة والمفهوم، مجلّة الأندلس، ع15، م16، ديسمبر2017، ص234.

[3]- جون بياجيه: البنيوية، تر: بشير أوبري، منشورات عويدات، بيروت، دط، 1971، ص116.

[4]- إيديث كرزويل: عصر البنيوية، تر: جابر عصفور، منشورات دار سعاد الصباح، ط1، 1993، ص142.

[5]- فؤاد زكرياء: آفاق الفلسفة، دار التنوير للطباعة، بيروت، دط، 1988، ص284.

2- المنهج البنيوي في التعليم: ويسمى أيضًا بالمنهج اللساني التركيبي، وهو عبارة عن "مجموعة من طرائق تعليم اللغات، ظهرت في العقد الثالث من القرن العشرين"[1]، وساهمت هذه العوامل في ظهور هذا المنهج:

1- رفض طريقة القواعد والترجمة الّتي أولت العناية كلّها للجوانب المعيارية على حساب الاستعمال الحياتي للغة.

2- ظهور اللسانيات الوصفية.

3- ظهور علم النفس السلوكي ونظريات التعلّم المنبثقة عنه.

4- تزايد الحاجة إلى تعلّم اللغات الأجنبية الحية.[2]

انطلق هذا المنهج في اشتغاله من وصف النظام اللغوي، فتبنى فكرة أنّ تعليم اللغة وتعلّمها ينطلق أساسًا من تدريس هذا النظام، كما اهتم هذا المنهج بـ:

1- تجاوز عدّ اللغة قوائم مصفوفة من المفردات إلى كونها نظامًا يتألّف من عناصر داخلية وعلاقات خارجية، فاللغة نظام من الإشارات الّتي تحقّق قصد التبليغ والتخاطب.

2- الثورة على المناهج التقليدية الّتي ركّزت على استنباط قواعد اللغة المكتوبة وإهمالها اللغة المنطوقة، وبالتالي إهمال النواحي الصوتية الّتي تؤثّر في تشكيل المعاني المقصودة من نبر أو تنغيم أو وقف[3]، وهذا الاهتمام باللغة المنطوقة، وبالكلام على وجه الخصوص ساهم في التركيز على المهارات اللغوية في تدريس اللغات من استماع وكلام، قراءة وكتابة.

3- استثمر مفهوم البنية في ابتداع التمارين البنيوية، والّتي كان لها الدور الرئيس في ترسيخ البنى اللغوية للمتعلّم، إذ تسمح له "بإدراك النماذج الأساسية للنظام اللساني المراد تعليمه"[4]

4- كما استثمر أيضًا مفهوم البنية في تحسين مردودية التعليم، إذ "تمّ تجاوز المناهج التقليدية الّتي تركّز على تعليم المفردات بمعزل عن سياقها، والتركيز على تعليم هذه القواعد الّتي عدّوها وسيلة لجمع شتات هذه المفردات، دون الاهتمام بتطبيقها بأنسب الطرائق من أجل ترسيخها لدى المتعلّم ثمّ استثمارها، فنتج عن ذلك ظهور طرائق جديدة، كالطريقة المباشرة، السمعية البصرية، الطريقة الكليّة...

ومصطلح التمارين البنيوية مصطلح حديث النشأة في صناعة تعليم اللغات ارتبط باللسانيات البنيوية، فهي إذن ليست اتجاهًا أو مدرسة ، وإنّما هي تطبيقات وأنشطة ضمن المنهج البنيوي.

---

[1]- لطفي بوقربة: محاضرات في اللسانيات التطبيقية، جامعة بشار، ص27.

[2]- ينظر، نفسه، ص28.

[3]- ينظر، نايف خرما وعلي حجاج: اللغات الأجنبية تعليمها وتعلّمها، عالم المعرفة، 1988، ص23.

[4]- أحمد حساني: دراسات في اللسانيات التطبيقية –حقل تعليمية اللغات، ص147.

2 – الطرائق المستخدمة في المنهج البنوي:

يتبنى المنهج البنوي طرائقًا مخصوصة لممارسة الفعل التعليمي أهمّها:

أ– الطريقة المباشرة: هي الطريقة الّتي تقوم أساسًا على "الربط المباشر بين الكلمات الأجنبية والعبارات والأشياء والأحداث الّتي تدلّ عليها دون استخدام اللغة القومية"[1]، فهي قائمة على الاقتران المباشر بين الكلمة وما تدلّ عليه، وتستخدم أسلوب المحاكاة والحفظ.

وتقوم هذه الطريقة على المبادئ التالية:

1– التعلّمات المقدّمة للمتعلّم تتمّ بواسطة اللغة المراد تدريسها، لا عن طريق لغة وسيطة، ولا عن طريق الترجمة.

2– يتمّ التركيز فقط على الكلمات والجمل الّتي تستخدم في الحياة اليومية.

3– الأولوية لمهارات الاتصال الشفوي، فيتمّ التركيز على الأسئلة والأجوبة المتبادلة بين المعلّم والمتعلّم[2].

4– تدرّس القواعد بطريقة استنتاجيه.

5– الاعتماد على التدريب والأمثلة لترسيخ التعلّمات الجديدة.

6– يتمّ الربط بين الرمز اللغوي ومضمونه وتوظيف اللغة الجديدة في مواقف طبيعية تساعد المتعلّم على الاستيعاب والتذكّر"[3]

7– في حالة تعليم لغة أجنبية، تتجنّب هذه الطريقة استخدام الترجمة، وتعدّ هذه العملية عديمة الجدوى، بل شديدة الضرر على تعليم اللغة المنشودة وتعلّمها.

ب– الطريقة السمعية الشفوية: هي إحدى أهمّ الطرائق الّتي تركّز على الأنشطة والتدريبات والمحاكاة، وحفظ المفردات، الحوار والتقليد في تنفيذها"[4]

تنظر هذه الطريقة إلى اللغة على أنّها مجموعة من الرموز الصوتية والأنظمة الصرفية والنحوية، تترابط بعلاقات شكلية لتحقيق فعل التواصل، وتركّز على المظهر المنطوق من اللغة، أمّا الكتابة فهي –حسبها– منظور ثانوي طارئ.

وتقوم هذه الطريقة على المبادئ التالية:

1– تعدّ تعليم اللغة اكتشافًا لعادات سلوكية من خلال التقليد والمحاكاة، وتعتمد على المثير والاستجابة والتعزيز.[5]

---

[1]– فتحي علي يونس، محمّد عبد الرؤوف: المرجع في تعليم اللغة العربية للأجانب من النظرية إلى التطبيق، مكتبة وهبة، القاهرة، دط، 2003، ص72.

[2]– ينظر، عمر الصدّيق عبد الله: تعليم اللغة العربية للناطقين بغيرها، الدار العلمية، دط، 2008، ص37.

[3]– فتحي علي يونس، محمّد عبد الرّؤوف: المرجع في تعليم اللغة العربية للأجانب، ص73.

[4]– محمد خضر عريف: مقدمة في علم اللغة التطبيقي، دار الخضر، بيروت، ط1، 1992، ص55.

[5]– طه على الدليمى وسعاد الوائلى: اللغة العربية ومناهجها وطرائق تدريسها، ص103.

2- يتّبع المعلّم في تدريس المهارات اللغوية الترتيب الطبيعي، فيبدأ بالاستماع ثمّ الكلام، وبعدها القراءة فالكتابة.

3- تعتمد على الحفظ أي تنمّي مقدرة المتعلّم على حفظ التعبيرات والجمل حتّى تصبح عادة.[1]

4- تستعمل التمارين البنيوية لاسيما تمارين التكرار.

5- لا تركّز على شرح القواعد النحوية، بل على المتعلّم أن يستنبطها.

جـ-الطريقة الكلّية: وتسمى أيضا بالطريقة السمعية الشفوية البصرية، وسمّيت بالطريقة الكلية لأنّها " تجمع بين الاستماع للغة أوّلا، ثمّ إعطاء الردّ الشفوي مع وجود عنصري بصري مثل صورة أو رسم للمساعدة على تكوين صورة واقعية عن معنى الصيغة اللغوية الّتي يجري تدريسها"[2]

ساهمت هذه الطريقة في تبنّي فكرة أنّ اللغة كلّ متكامل، لذا على المعلّم ألا يدرّس الكلمات معزولة عن سياقهاّ، أي الاعتماد على الفهم الكلي للموقف فاللغة بنية متكاملة لا شتاتًا من المكوّنات.

3 – الانتقادات الّتي وجّهت للمنهج البنوي:

طالت هذا المنهج أيضًا مجموعة من الانتقادات نوجزها في الآتي:

1- تقديس الشكل والعناية به، وإهمال المعنى.

2- إهمال الجوانب الذهنية الّتي تحدث في عقل المتعلّم، وما يجري فيه من عمليات، وما يستخدم من استراتيجيات، وكذا إغفال الجوانب الوجدانية والاجتماعية المؤثرة في عملية التعلّم.

3- ركّز على المحاكاة والحفظ وأهمل الجانب الإبداعي للمتعلّم، فجعل من أداء المعلّم هو المعيار النموذجي الّذي وجب على المتعلّم الإتيان بمثله وتكراره.